المدرسة المغاربية في التفسير اللغوي للقرآن الكريم

تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي أنموذجا.

Maghreb school in the linguistic interpretation of the Holly Quran
The interpretation of the Tafssir Elmohit of the Andalusia Abu Hayyan model

د. سحنين علي
قسم اللغة العربية وآدابها -جامعة مصطفى اسطمبولي-معسكر (الجزائر)
ali.shanine@univ-mascara.dz
sahnineali20@gmail.com

تاريخ القبول: 2018/06/24 **تاريخ الإيداع: 2018/09/22**

الملخص باللغة العربية:

تحاول هذه الدراسة أن تسلط الضوء على جانب مهم ضمن المدرسة المغاربية في التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ويتعلق الأمر بمجهودات علم بارز من علماء اللغة والنحو والتفسير والقراءات، وهو أبو حيان الأندلسي من خلال كتابه البحر المحيط الذي نافس به أهم العلماء والمفسرين الذين ظهروا في المشرق ومن بينهم الزمخشري الذي رد أبو حيان كثيرا من آرائه التي يتضمنها كتابه الكشاف، كما أن هذا الكتاب الضخم (البحر المحيط) يعد من أنفس الكتب في بابه، ومن الكتب –أيضا- التي بلغت شهرتها الآفاق وأصبح لا يستغني عنها أي باحث في لغة القرآن الكريم، وفي تفسيره وبحث دلالاته ومعانيه اللغوية.

[الكلمات المفتاحية: المدرسة المغاربية، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، الدراسات اللغوية، الدراسات القرآنية، التفسير، القراءات]

Abstract :

This study seeks to shed light on an important element in the Maghreb school in the linguistic interpretation of the Holy Quran, through the cardinal efforts led by an iconic scholar in the field of language, grammar and Coranic exegesis namely Abu Hayyan al Andalusi. special attention will be paid to Abu Hayyan's book «al-Bahr al-Muhit» that helped its author concur with his contemporaries in the Oient

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

and most notably AL-Zamakhshari who has been greatly contested by Abu Hayyan. Moreover, Abu Hayyan's «al-Bahr al-Muhit»'s merit lies in its notoriety and the impossibility of modern scholars to neglect it when Coranic Moreover, Abu Hayyan's «al-Bahr al-Muhit»'s merit lies in its notoriety and the impossibility of modern scholars to neglect it when Coranic exegesis is evoked. And has become indispensable to any researcher in the language of the Koran and its Coranic exegesis and the search of its linguistic Significance.

[**key words:** Maghreb School, Abu Hayyan al Andalusi, al- Bahr al-Muhit, Language Studies, Quranic Studies, exegesis, Readings]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-تمهيد:

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة الإسهام في رسم مظهر من مظاهر الاهتمام بتفسير القرآن الكريم ضمن ما عرف بالمدرسة المغاربية التي بدأت تتشكل تاريخيا بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب والأندلس، فظهر علماء أجلاء اهتموا بالقرآن الكريم وبتفسيره وببلاغته وإعجازه، وقد ازداد شغف العلماء المغاربيين واهتمامهم بالقرآن الكريم، وبكل مجالات اللغة والأدب العربي مع احتدام الصراع بين المشارقة الفاتحين والمغاربيين المتأثرين بالثقافة القادمة من المشرق، وفي إطار ما سمي بعقدة التمشرق راح المغاربيون ينزعون إلى التفرد عن المشارقة في كثير من العلوم والميادين اللغوية لما شعروا بهذه التبعية المشرقية التي استغلها هؤلاء لفائدتهم في تأسيسهم لثقافة الأصل والفرع.

ولعل النظر في واقع المشهد الثقافي المغاربي يؤكد نزعة التفرد هذه، إذ أبدع المغاربيون اليوم في شتى مجالات اللغة والأدب والنقد، بل أبدعوا حتى باللغة الأمازيغية. ومن أهم المجالات التي لمع نجم المغاربيين في مجالها عنايتهم بالقرآن الكريم وبتفسيره وبلغته وبالقراءات القرآنية كذلك. وفي هذا الصدد وقع اختيارنا على كتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي لما له من قيمة علمية ومعرفية، وبوصفه مؤلفا متميزا ومصدرا من المصادر المهمة والأساسية التي لا يستغنى عنها في التفسير والقراءات وفي علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة.

من هذا المنطلق توجب طرح جملة من التساؤلات كالآتي:

-ما أهمية كتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.؟ وما منهجه فيه؟

-ما مظاهر الدرس اللغوي في تفسير القرآن الكريم في الكتاب؟

-ما الأثر الذي تركه هذا الكتاب وما مكانته ضمن الجهود التي أسهمت في تأسيس المدرسة المغاربية في اللغة العربية والدراسات القرآنية؟

ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدت هذه الدراسة منهجا لا يخرج عن نطاق المنهج التاريخي المدعوم بإجراءات الوصف والتحليل، إذ يحضر التأريخ في بسط الجوانب التاريخية المتعلقة بنشأة المدرسة المغاربية وبأسباب ظهورها وملابسات تشكلها وتبلورها، بينما يظهر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوصف والتحليل في نطاق توصيف الظواهر اللغوية والقرآنية في التفسير وتحليلها في كتاب البحر المحيط لأبي حيان.

وبذلك تأتي هذه الدراسة بغية تحقيق جملة من الأهداف والغايات نوجزها في النقاط الآتية:
-الإعلان عن ميلاد المدرسة المغاربية في اللغة والدراسات القرآنية، والوقوف على نتاجها العلمي والمعرفي -في هذا المجال- الذي ينضاف إلى الجهود العلمية واللغوية التي قدمها علماء المشرق العربي، ومن ثمة تبين تلك النزعة التفردية التي ميزت بعض علماء المغرب في إطار الصراع الثقافي بين القطرين، وإن كانت الحقيقة تؤكد أن أغلب الجهود المغاربية تعد محاكاة لما أنتجه المشارقة قديما.
-التعريف بأبي حيان الأندلسي وبإنتاجه العلمي، وهو أحد علماء اللغة والتفسير والقراءات البارزين في هذا الباب، وذلك من خلال كتابه تفسير البحر المحيط.
- الوقوف على المادة العلمية الغزيرة والمتنوعة التي تتضمن هذا الكتاب، والتي تتراوح بين اللغة والنحو والصرف والبلاغة وعلم التفسير والقراءات القرآنية.

من هذا المنطلق اختارت هذه المقالة مدارسة مؤلف مهم لأبي حيان الأندلسي وهو كتابه "تفسير البحر المحيط"؛ لأنه يعد أحد الجهود المتميزة التي أسهمت في تشكيل المدرسة اللغوية المغاربية، وخاصة أن هذا الجهد يعنى بكتاب الله عز وجل وتفسيره، محاكيا في ذلك التوجه اللغوي في دراسة القرآن الكريم وتفسيره الذي ظهر في المشرق على يد عدد كبير من علماء اللغة الكبار أمثال: الكسائي[1] والفراء[2] وأبي عبيدة[3] وابن قتيبة[4] والزمخشري[5] والزركشي[6] والسيوطي[7] والرازي[8] والرماني[9] وغيرهم. كما أنه من أهم كتب التفسير الماتعة التي كتب لها القبول بين الناس في المغرب والمشرق، وذلك لأن صاحبه قد بذل فيه جهدا منقطع النظير جمع بين التفسير والقراءات القرآنية، وبين علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، كما تضمن ردودا على آراء بعض كبار علماء اللغة والتفسير أمثال الزمخشري وابن عطية، وخالفهم في كثير من المسائل في اللغة والنحو والتفسير. فما هي القيمية العلمية لكتاب "البحر المحيط" بالقياس لما يحتويه من مادة علمية غزيرة، وبالقياس إلى الجهود المشرقية في بابه؟

2- كتاب "تفسير البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي؟[10]:

هو كتاب "البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم" ومختصره "النهر الماد من البحر المحيط" وطبع على حاشيته كتاب "الدر اللقيط من البحر المحيط" لتلميذه ابن مكتوم. وقد صدر لكتاب البحر المحيط عدة طبعات أولها طبعة دار السعادة في مصر في ثمان مجلدات على نفقة سلطان المغرب الأقصى عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد سنة 1328 هجرية، كما صدرت له طبعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخرى في عشر مجلدات راجعها صدقي محمد جميل واعتنى بها عرفات العشا حسونة، ونشرتها دار الفكر في بيروت عام 1412 هجرية/ 1992 ميلادية، ثم طبعة أخرى عن دار الكتب العلمية ببيروت سنة 1413 هجرية/ 1993 ميلادية حققها عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض وشاركهما الدكتور زكرياء عبد المجيد النوتي والدكتور أحمد عبد الغني النجولي الجمل وقرظها الدكتور عبد الحي الفرماوي.

وقد اعتنت العديد من الدراسات والأبحاث بهذا الكتاب القيم والتفسير المتميز ومنها:

-أبو حيان النحوي لخديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1966، وهو في الأصل بحث لنيل درجة الدكتوراه تقدمت به الباحثة لجامعة القاهرة، ونوقش سنة 1964.

- منهج أبي حيان في تفسير البحر المحيط لعبد المجيد المحتسب، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر.

-منهج أبي حيان الأندلسي في اختياراته من القراءات في ضوء علم اللغة المعاصر ليحي القاسم، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس سنة 1989.

-الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط، لعبد العزيز علي مطلك الدليمي، رسالة دكتوراه، بغداد، 1992.

-كتاب مسائل النحو والصرف في تفسير البحر المحيط، لعبد الحميد مصطفى السيد، دار الإسراء بعمّان، 2003.

-منهج الإمام أبي حيان الأندلسي في العقيدة من خلال كتابه البحر المحيط لإبراهيم برقان، رسالة دكتوراه، جامعة الزيتونة، تونس، 2006.

-كتاب "أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراد القراءات فيه لأحمد خالد شكري، دار عمار للنشر والتوزيع، الجامعة الأردنية، ط1، 2007.

بدأ أبو حيان في تأليف "تفسير البحر المحيط" بعد تعيينه مدرسا لعلم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور سنة 710هـ وعمره لم يتجاوز سن السابعة والخمسين، وكان ذلك في عهد الملك الناصر، وقد حكى عن نفسه قائلا :"وما زال يختلج في ذكري، ويعتلج في فكري، أني إذا بلغت الأمد الذي يتغضد فيه الأديم، ويتنغص برؤيتي النديم، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين ...ألوذ بجناب الرحمن، وأقتصر على تفسير القرآن، فأتاح الله لي ذلك قبل بلوغ ذلك العقد، وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد، وذلك بانتصابي مدرسا لعلم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور...وذلك في دولة ولده السلطان القاهر، الملك الناصر... وكان ذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمري فعكفت على تصنيف هذا الكتاب وانتخاب الصفو واللباب"[11]. وأما بالنسبة لأهم المصادر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي اعتمد عليها، فيذكر أنه اعتمد على كتاب الكشاف للزمخشري وتفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، والمحصول للرازي والكتاب لسيبويه...وغيرها.

3-الدرس القرآني في البحر المحيط:

3-1-علم التفسير وعلومه:

يعرف أبو حيان علم التفسير بقوله: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك"[12]. وبهذا التعريف يكون أبو حيان قد وضع رسما لعلم التفسير الذي لم يقف له على رسم من قبل علماء التفسير على حد قوله، وبناء على ذلك تجده يحدد مجالاته ويوضحها؛ إذ يقول: "فقولنا: علم هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات، وقولنا: ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صادّ فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز، وقولنا وتتمات لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن الكريم ونحو ذلك"[13]. وأما عن العلوم التي يحتاج إليها المفسر؛ فإن ذلك – حسب رأيه- يكون من سبعة وجوه[14]:

-**الوجه الأول:** علم اللغة اسما وفعلا وحرفا.

-**الوجه الثاني:** معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها ويؤخذ ذلك من علم النحو.

-**الوجه الثالث:** كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع.

-**الوجه الرابع:** تعيين مبهم، وتبيين مجمل، وسبب نزول ونسخ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من علم الحديث.

-**الوجه الخامس:** معرفة الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا، ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن، ويؤخذ هنا من أصول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفقه، ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة ، غذ هو شيء يتكلم فيه على أوضاع العرب، ولكن تكلم فيه غير اللغويين أو النحويين ومزجوه بأشياء من حجج العقول، ومن أجمع ما في هذا الفن كتاب المحصول لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي.

-**الوجه السادس:** الكلام فيما يجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه، والنظر في النبوة ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى، وفي الأنبياء، وإعجاز القرآن، ويؤخذ هذا من علم الكلام، وقد صنف علماء الإسلام من سائر الطوائف في هذا كتبا كثيرة، وهو علم صعب إذ المزلة فيه والعياذ بالله مفض إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

-**الوجه السابع:** اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القرآن.

3-2-منهجه في تفسير القرآن الكريم:

اتجه أبو حيان في أواخر حياته إلى تفسير القرآن الكريم من خلال تأليفه للبحر المحيط الذي كان يفضل تسميته بالكتاب الكبير، وقد اتبع في ذلك طريقة معينة ومنهجا محددا وضحها في مقدمة كتابه، يمكن إجمالها فيما يلي[15]:

1-الكلام على مفردات الآية لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، على النحو الذي أورده لدى تفسيره لمفردات الآيات الكريمات [261-266] من سورة البقرة: **{مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) 261 (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) 262 (۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ)263 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لاَ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)264 (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)266 (}.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"**الحبة:** اسم جنس لكل ما يزرعه ابن آدم ويقتاته، واشهر ذلك البر، وكثيرا ما يراد بالحب. ومنه قول المتلمس: آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

وحبة القلب سويداؤه، والحِبة بكسر الحاء بذور البقل مما ليس بقوت، والحُبة بالضم الحب والحب الحبيب.

الإنبات: الإخراج على سبيل التولد.

السنبلة: معروفة، وزنها فنعلة، فالنون زائدة بذلك على قولهم: أسبل الزرع أرسل ما فيه كما ينسبل الثوب، وحكى بعض اللغويين سنبل الزرع. قال بعض أصحابنا النون أصلية، ووزنه فعلل، لأن فنعل لم يثبت فيكون مع أسبل كسبط وسبطر.

المنّ: ما يوزن به، والمنّ قدر الشيء ووزنه، والمنّ والمنة النعمة، منّ عليه أنعم. ومن أسمائه تعالى: المنان، والمنّ النقص من الحق والبخس له، ومنه المنّ المذموم، وهو ذكر المنة للمنعم عليه على سبيل الفخر عليه بذلك، والاعتداد عليه بإحسانه، وأصل المنّ القطع، لأن المنعم يقطع قطعة من ماله لمن ينعم عليه.

الغني: فعيل للمبالغة من غنى وهو الذي لا حاجة له إلى أحد كما قال الشاعر:

كِلاَنَا غَنِيٌ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ.

ويقال غني أقام بالمكان، والغانية هي التي غنيت بحسنها عن التحسن.

الرئاء: فعال مصدر من راء من الرؤية، ويجوز إبدال همزته ياء لكسرة ما قبلها، وهو أن يرى الناس ما يفعله من البر حتى يثنوا عليه ويعظموه بذلك لا نية له غير ذلك.

الصفوان: الحجر الكبير الأملس، وتحريك فائه بالفتح لغة، وقيل: هو اسم جنس واحده صفوانة. وقال الكسائي: الصفوان واحده صفي، وأنكره المبرد، وقال: صفي جمع صفا نحو: عصا وعصي، وقفا وقفي. وقال الكسائي أيضا: صفوان واحد، وجمعه صِفوان بكسر الصاد. وقال النحاس: يجوز أن يكون المكسور الصاد واحدا. وما قاله الكسائي غير صحيح، بل صِفوان جمع لصفا. كورل وورلان، وإخ وإخوان، وكرى وكروان.

التراب: معروف ويقال فيه توراب، وترب الرجل افتقر، وأترب استغنى، الهمزة فيه للسلب، أي: زال عنه الترب وهو الفقر، وإذا زال عنه كان غنيا.

الوابل: المطر الشديد، وبلت السماء تبل، والأرض موبولة. وقال النضر: أول ما يكون المطر رشا، ثم طسا، طلا، ورذاذا، ثم نضحا وهو قطرتين قطرتين، ثم هطلا وتهتانا ثم وابلا وجودا. والوبيل: الوخيم، والوبيل: العصا الغليظة، الوبيلة: حزمة الحطب.

الصلد: الأجرد الأملس النقي من التراب الذي كان عليه، ومنه صلد جبين الأصلع برق.يقال: صلد يصلد صلدا. بتحريك اللام فهو صلد بالإسكان. وقال النقاش: الصلد الأجرد بلغة هذيل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحكى أبان بن تغلب: أن الصلد هو الليّن من الحجارة. وقال علي بن عيسى: الصلد، الخالي من الخير من الحجارة والأرضين وغيرهما، ومنه: قدر صلود: بطيئة الغليان.

الربوة: قال الخليل: أرض مرتفعة طيبة، ويقال فيها: الرباوة، وتثلث الراء في اللغتين، ويقال: رابية. قال الشاعر: وغيث من الوسمى جو تلاعه أجابت روابيه النجا وهواطله

وقال الأخفش: ويختار الضم في ربوة لأنه لا يكاد يسمع في الجمع إلا الربا، وأصله من ربا الشيء زاد وارتفع. وتفسير السدي بأنها: ما انخفض من الأرض ليس بشيء.

الطل: المستدق من القطر الخفيف، هذا مشهور اللغة. وقال قوم، منهم مجاهد: الطل الندى، وهذا تجوز. وفي الصحاح: الطل أضعف المطر، والجمع طلال، يقال: طلت الأرض وهي مطلو. قال الشاعر:

ولمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلَّهُ النَّدَى

ويقال أيضا: أطلها الندى، والطلة الزوجة.

النخيل: اسم جمع أو جمع تكسير، كنخل اسم الجنس، كما قالوا كلب وكليب. قال الراغب: سمي بذلك لأنه منخول الاشجار وصفوها، وذلك أنه أكرم ما ينبت، لكون مشيها للحيوان في احتاج الأنثى منه إلى الفحل في التذكير. أي التلقيح، وأنه إذا قطع رأسه لم يثمر.

العنب: ثمر الكرم، وهو اسم جنس، واحده عنبة، وجمع على أعناب. ويقال: عنباء بالمد غير منصرف على وزن سيراء في معنى العنب.

الإعصار: ريح شديدة ترتفع فيرتفع معها غبار إلى السماء يسميها العامة الزوبعة، قاله الزجاج، وقيل: الريح السموم التي تقتل، سميت بذلك لأنها تعصر السحاب، وجمعها أعاصير.

الاحتراق: معروف وفعله لا يتعدى، ومتعديه رباعي، تقول: أحرق النار الحطب والخبز، وحرق ناب الرجل، ثلاثي لازم إذا احتك بغير غيظا، ومتعد نقول: حرق الرجل نابه، حكه بغيره من الغيظ. قال الشاعر:

أبَى الضَّيمَ والنُعْمَانُ يَحْرِقُ نابَه عَلَيْهِ فأَفْضَى والسُّيوفُ مَعَاقِلُه

قرأناه برفع الناب ونصبه"[16]. كما أنه يفسر المفردات القرآنية بالقرآن، مثل تفسيره للفظة "الدين" في الآية 3 من سورة الفاتحة. قال: "(الدين) الجزاء، دنّاهم كما دانو، قاله قتادة، والحساب {ذلك الدين القيم}[الروم/30] قاله ابن عباس، والقضاء {ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله} [النور/02]...والملة {ورضيت لكم الإسلام دينا}[المائدة/03] {إن الدين عند الله الإسلام}[آل عمران 19]"[17]. وقد يفسرها بالحديث النبوي الشريف، ومن ذلك استحضاره لأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء تفسيره لقوله تعالى من سورة الكوثر{إنا أعطيناك **الكوثر**}، فقال: "وذكر في التحرير في الكوثر ستة وعشرين قولا، والصحيح هو ما فسره

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، ماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج" قال الترمذي حديث حسن صحيح. وفي صحيح مسلم واقتطعنا منه. أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم". انتهى قال ذلك عليه الصلاة والسلام عندما نزلت هذه السورة وقرأها"[18].

2-الشروع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها.

3-حشد القراءات الشاذة والمستعملة، ذاكرا توجيه ذلك في علم النحو. ففي قوله تعالى في الآية 214 من سورة البقرة {وزلزلوا حتى يقولَ الرسول}. قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور: حتى، والفعل بعدها منصوب إما على الغاية، وإما على التعليل، أي: وزلزلوا إلى أن يقول الرسول، أو: وزلزلوا كي يقول الرسولن والمعنى الأول أظهر، لأن المس والزلزال ليسا معلولين لقول الرسول والمؤمنين. وقرأ نافع برفع، يقول: بعد حتى، وإذا كان المضارع بعد حتى فعل حال فلا يخلو أن يكون حالا في حين الإخبار، مرض حتى لا يرجونه، وإما أن يكون حالا قد مضت، فيحكيها على ما وقعت، فيرفع الفعل على أحد هذين الوجهين، والمراد به هنا المضي، فيكون حالا محكية، إذ المعنى: وزلزلوا، فقال الرسول"[19].

4-لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آية فسرت، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية. فعند تفسيره لقوله تعالى {الرحمن الرحيم} من سورة الفاتحة. قال أبو حيان: "{الرحمن الرحيم} تقدم الكلام عليهما في البسملة"[20].

5-ما يذكره من القواعد النحوية يحيل في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو، وقد يكون الدافع إلى ذلك الاختصار، وتتخذ الإحالة أشكالا متنوعة، فتارة تكون الإحالة على كتب النحو والصرف بشكل عام مثل قوله: (والاستدلال في كتاب النحو)، وقوله: (وينفرد هذا الاسم بأحكام ذكرت في علم النحو)، وقوله (ويبحث في تقرير هذا في النحو)، وتارة يحيل على كتب الآخرين قائلا: (وقال صاحب التسهيل) في إشارة منه إلى ابن مالك[21]. وتارة أخرى تكون الإحالة على كتبه، كقوله :(وقد تكلمنا على مسائل حتى في كتاب التكميل)[22] ، وهو من تأليفه.

6- يختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرها إفرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصا[23]. فقد اعتنى أبو حيان بالأسرار البلاغية واللمسات البيانية التي تتضمنها الآيات القرآنية، وكان كثيرا ما يختتم بها تفسيره، مبينا مختلف وجوه البلاغة والفصاحة فيها، وفي أحايين أخرى يقارن بين بلاغة القرآن وفصاحته وبين كلام العرب، مبينا ما بينهما من التفاوت والفوارق البلاغية[24]. ومن ذلك قوله في أثناء تفسيره للآية 179 من سورة البقرة **{وَلَكُمْ فِي**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون}: "وقالت العرب فيما يقرب من هذا المعنى: القتل أوقى للقتل، وقالوا: أنفى للقتل، وقالوا: أكف للقتل"[25].

7-يتبع آخر الآيات بكلام منثور، يشرح به مضمون تلك الآيات، على ما يختاره من تلك المعاني ملخصا جملها في أحسن تلخيص، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير[26] وفق كثير من الوضوح والتعليل.

3-3-مصادره الأساسية في التفسير:

اعتمد أبو حيان اعتمادا كبيرا على تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وتفسير الكشاف للزمخشري وعدهما أحسن التفاسير؛ لذلك تجده يأخذ منهما كثيرا، ويستحضر آراءهما، ويستشهد بأقوالهما. يقول أبو حيان: "وهذا أبو القاسم محمود بن عمر المشرقي الخوارزمي الزمخشري، وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير، وقد اشتهرا ولا كاشتهار الشمس، وخلدا في الأحياء وإن هدآ في الرمس، وكلامهما فيه يدل على تقدمهما في علوم، من منثور ومنظوم، ومنقول ومفهوم، وتقلب في فنون الآداب، وتمكن من علمي المعاني والإعراب...وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص"[27]. لكنه رغم اعتماده على هذين التفسيرين وإشادته بهما وامتداحهما، إلا أنه يخالفهما في كثير من المسائل والآراء إلى درجة انتقادهما، وتسجيله لمواقف وآراء بخصوص منهجهما، ولا سيما الزمخشري الذي كان لمذهبه الاعتزالي أثره الواضح في تفسيره، وليس بغريب على أبي حيان أن يرد على آرائه وينتقدها، بل ويفندها في كثير من الأحيان، وهو العالم السني المالكي الظاهري؛ إذ رد معتقدات المعتزلة ودحض أباطيلهم من خلال تفسير "الكشاف" للزمخشري الذي حمل كثيرا من الضلالات والشبه الاعتزالية، ومنها: أنهم يخرجون اللفظ القرآني عن ظاهره بتأويلاتهم الفاسدة، وأنهم يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، وأن القرآن مخلوق، وتسميته لهم بأهل العدل والتوحيد نصرة لمذهبهم، إلى غير ذلك من الادعاءات والتأويلات الباطلة.

ومن ذلك رده عليه في قضية الرؤية، فأهل السنة يثبتون رؤية الله عز وجل على خلاف المعتزلة الذين نفوا رؤيته متأويلن قوله تعالى: {قال لن تراني} مستدلين على ذلك بأن لن هنا تفيد التأبيد، بينما الصواب عكس ذلك؛ لأنه عز وجل قال في سورة القيامة {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}. وقد أورد أبو حيان قول الزمخشري قبل رده عليه. قال. قال الزمخشري: "فإن قلت: الرؤية عين النظر، فكيف قيل: {أرني أنظر إليك}؟ قلت: معنى أرني نفسك اجعلني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متمكنا من رؤيتك بأن تنجلي لي فأنظر إليك واراك. فإن قلت: فكيف قال: {لن تراني}، ولم يقل لن تنظر إلي. لقوله: {أنظر إليك}؟. قلت: لما قال: أرني بمعنى: اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك علم أنّ الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل: لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي. فإن قلت: ما معنى لن؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه لا، وذلك أن لا تنفي المستقبل. تقول: لا أفعل غدا، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدا والمعنى: أن فعله ينافي حالي كقوله: {لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له} [الحج:73] فقوله:{لا تدركه الأبصار} [الأنعام: 103] نفي للرؤية فيما يستقبل. ولن تراني: تأكيد وبيان؛ لأن المنفي مناف لصفاته"[28]. وقد عقب أبو حيان على هذا القول بأن الزمخشري "على طريقة المعتزلة في نفي رؤية الله تعالى، ولهم في ذلك أقاويل أربعة: أحدها: ما رووا عن الحسن وغيره أن موسى ما عرف أن الرؤية غير جائزة وهو عارف بعدله وبربه وبتوحيده، فلم يبعد أن يكون العلم بامتناع الرؤية وجوازها موقوفا على السماع. ورد ذلك وبأنه يلزم أن تكون معرفته بالله أقل درجة من معرفة أرذال المعتزلة وذلك باطل بالإجماع. الثاني: قال الجبائي وابنه أبو هاشم: سأل الرؤية على لسان قومه فقد كانوا مكثرين للمسألة عنها لا لنفسه، فلما منع منها ظهر أن لا سبيل إليها وردّ بأنه لو كان كذلك لقال: أرهم ينظروا إليك، ولقيل: لن تروني، وأيضا لوكان محالا لمنعهم عنه كما منعهم عن جعل الآلهة لهم بقوله: {إنكم قوم تجهلون}. وقال الكعبي: سأله الآيات الباهرة التي عندها تزول الخواطر والوساوس عن معرفته كما تقول في معرفة أهل الآخرة. وردّ ذلك بأنه يقتضي حذف مضاف وسياق الكلام يأبى ذلك فقد أراه من الآيات ما لا غاية بعدها كالعصا وغيرها. وقال الأصم: المقصود أن يذكر من الدلائل السمعية ما يدل على امتناع الرؤية حتى يتأكد الدليل العقلي بالدليل السمعي. و(أل) في الجبل للعهد وهو أعظم جبل بمدين يقال له: اراريين. قال ابن عباس: تطاولت الجبال للتجلي وتواضع اراريين فتجلى له"[29]. ومما قاله الزمخشري في مسألة الرؤية وآخذه عليه أبو حيان مبالغته في التأويل العقلي وبث سمومه الاعتزالية الخاصة بالرؤية، حيث وصل به الأمر إلى درجة سب أهل السنة الذين يعارضون مذهب المعتزلة ويرفضون نفيهم للرؤية. يقول الزمخشري: "{فلما أفاق} من صعقته {قال سبحانك} أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها {تبت إليك} من طلب الرؤية {وأنا أول المؤمنين} بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس. فإن قلت: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب؟ قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى، فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية، وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكا، وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر، وكيف سبح ربه ملتجئا إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال:{أنا أول المؤمنين} ثم تعجب من المتسمين بالإسلام،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتسمين بأهل السنة والجماعة، كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة* فإنه من منصوبات أشياخهم، والقول ما قال بعض العدلية فيهم:

لَجَمَاعَةٌ سَمَّوْا هَواهُم سُنَّةً وجَماعَةٌ حُمْرٌ لَعَمْري موكَفَة
قَدْ شَبّضهوهُ بِخَلْقِهِ وتَخَوَّفوا شَنْعَ الورَى فتَستَّروا بالبَلْكَفَة[30]

يقول أبو حيان: "وهو تفسير على طريقة المعتزلة وسب لأهل السنة والجماعة على عادته"[31]. ومن أحسن الردود لأهل السنة على ما قال به المعتزلة وشيخهم الزمخشري ما قاله الإمام أحمد رحمه الله في الذب عنهم وعن رأيهم السليم في مسألة الرؤية. يقول: "وقد انتقل الزمخشري في هذا الفصل إلى ما تسمعه من هجاء أهل السنة، ولولا الاستناد بحسان بن ثابت الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشاعره، والمنافح عنه، وروح القدس معه، لقلنا لهؤلاء المنقلبين بالعدلية، وبالناجين سلاما، ولكن كما نافح حسان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءه، فنحن ننافح عن أصحاب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداءهم، فنقول:

وجَماعَةٌ كَفَروا برُؤيَةِ ربّهِم حقًّا ووعْدُ اللهِ ما لن يُخْلِفَه
وتَلَقَّبُوا عَدْليةً قُلنا أجلْ عدَلوا بِرَبِهِمْ حسِبوه سفَه
وتلقَّبوا النَّاجينَ كلاَّ إنَّهم إنْ لم يكونوا في لظًى فعلَى شَفَه[32]

3-4-القراءات القرآنية:

يحفل كتاب البحر المحيط بالقراءات القرآنية الشاذة والمتواترة وتوجيهاتها، ولذلك عد مصدرا لا يستغنى عنه في باب القراءات، وتتأكد أهمية ذلك من خلال ما أورده أبو حيان في مقدمة تفسيره الكبير؛ إذ جعل علم القراءات وجها من الوجوه الأساسية التي يعتمد عليها في تفسير كتاب الله تعالى، والنظر في اختلاف ألفاظه وتغير حركاتها ومختلف وجوهها الإعرابية، وهو ما حدده في الوجه السابع من الأوجه التي يحتاج إليها المفسر. يقول: "اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد، ويؤخذ هذا الوجه من علم القرآن"[33]. فقد برع أبو حيان في القراءات القرآنية وأحاط إحاطة شاملة بهذا العلم، وكشف عن مختلف أنواع القراءات، وعمل على توجيهها توجيها حسنا، أدى إلى إثراء المباحث النحوية واللغوية في دراسة اللغة العربية[34]، وبخاصة لغة القرآن الكريم.

ولم يتبع أبو حيان منهجا واحدا يسير عليه في ذكر القراءات القرآنية، وإنما كان يذكرها كيفما اتفق، لا يفصل بين القراءات المتواترة والشاذة، وإن كان يفضل القراءة المتواترة على القراءة الشاذة، ولا يراعي في ترتيب القراء طريقة معينة، كما أنه لا ينبه على الانفرادات التي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يذكرها عن بعض القراء العشرة، ولا يقوم بتوجيه القراءات في أحايين كثيرة، وقد يذكر القراءة دون أن ينسبها لقارئ معين[35]. لكن ذلك لا يمنع من تحديد أبرز سمات منهجه في التعامل مع القراءات القرآنية، وهي كما حددها "بوشعيب المحمادي" في النقاط الآتية[36]:

-أولا: لا لترجيح إحدى القراءات المتواترة على الأخرى، ومثال ذلك قول أبي حيان عند تفسيره للآية 51 من سورة البقرة:{وإذْ **وَاعَدْنَا موسَى أَرْبَعينَ لَيْلَةً}**. يقول:"قرأ الجمهور (واعدنا)، وقرأ أبو عمرو (وَعَدْنا) بغير ألف هنا...وقد رجح أبو عبيد قراءة من قرأ (وَعَدْنا) بغير ألف وأنكر قراءة من قرأ (واعدنا) بالألف وافقه على معنى ما قال أبو حاتم ومكي، وقال أبو عبيد: المواعدة لا تكون إلا من البشر، وقال أبو حاتم: أكثر ما تكون المواعدة من المخلوقين المتكافئين كل واحد منهما يعد صاحبه، وقد مر تخريج واعد على تلك الوجوه السابقة ولا وجه لترجيح إحدى القراءتين على الأخرى، لأن كلا منهما متواتر فهما في الصحة على حد سواء، وأكثر القراء على القراءة بألف وهي قراءة مجاهد والأعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائي"[37]. ومن القراءات المتواترة التي لم يرجح أبو حيان إحداها على الأخرى قراءة **(أرجلكم)** في آية الوضوء من سورة المائدة/06: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**} بالفتح والجر، حيث يقول: "وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر، وهي قراءة أنس، وعكرمة، والشعبي، والباقر، وقتادة، وعلقمة، والضحاك: {وأرجلِكم} بالخفض. والظاهر من هذه القراءة اندراج الأرجل في المسح مع الرأس...وقرأ نافع، والكسائي، وابن عامر، وحفص، : {وأرجلكم} بالنصب...وأما من يرى المسح فيجعله معطوفا على موضع برؤوسكم، ويجعل قراءة النصب كقراءة الجر دالة على المسح"[38].

ومن ذلك أيضا قوله في تفسير الآية 249 من سورة البقرة: {إلا من اغترف **غرفة** بيده}: "وقرأ الحرميان، وأبو عمرو: غرفة، بفتح الغين وقرأ الباقون بضمها، فقيل: هما بمعنى المصدر، وقيل: هما بمعنى المغروف، وقيل: الغرفة بالفتح المرة، وبالضم ما تحمله اليد، فإذا كان مصدرا فهو على غير الصدر، إذ لو جاء على الصدر لقال: اغترافه، ويكون مقعول اغترف محذوفا، أي: ماء، وإذا كان بمعنى المغروف كان مفعولا به، قال ابن عطية: وكان أبو علي يرجح ضم الغين، ورجحه الطبري أيضا: أن غرفة بالفتح إنما هو مصدر على غير اغتراف. انتهى. وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي، لأن هذه القراءات كلها صحيحة ومروية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية فلا يمكن فيها ترجيح قراءة على قراءة"[39]. فمن هذا المنطلق فأبو حيان يفضل القراءة المتواترة، فلا يرجح بين قراءتين متواترتين، وكثيرا ما ينتقد من يرد قراءة متواترة أويضعفها، اللهم إلا إذا كانت القراءة شاذة فقد يرجح عليها القراءة المتواترة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-**ثانيا: لا يجوز الطعن في القراءات والقراء**، ومن ذلك رده على الزمخشري وابن عطية وأبي علي الفارسي في ردهم لقراءة ابن عامر في قوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ الله مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون} الأنعام/137**، حيث قرأ ابن عامر برفع الزاي وكسر الياء في {زُيِّنَ} وبرفع اللام في {قتلُ} وبنصب دال {أولادَهم} وخفض همزة {شركائهم}. يقول أبو حيان: "وقرأ ابن عامر: **{كذلك}** إلا أنه نصب **{أولادهم}** وجر شركائهم فصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول وهي مسألة مختلف في جوازها، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض ابن عامر، الآخذ القرآن عن عثمان ابن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب، ولوجودها أيضا في لسان العرب في عدة أبيات قد ذكرناها في كتاب منهج السالك من تأليفنا ولا التفات إلى قول ابن عطية وهذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب، وذلك أنه أضاف الفعل إلى الفاعل وهو لشركاء ثم فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ورؤساء العربية لا يجيزون الفصل بالظروف في مثل هذا إلا في الشعر...ولا التفات أيضا إلى قول الزمخشري: إن الفصل بينهما يعني بين المضاف والمضاف إليه فشا لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا فكيف به في القرآن المعجز لحسن نظمه وجزالته؟ والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء، ولو قرأ بجر **{الأولاد}** والشركاء لأن **{الأولاد شركاؤهم}** في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب؛ انتهى ما قاله. وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله تعالى شرقا وغربا...ولا التفات أيضا لقول أبي علي الفارسي: هذا قبيح قليل في الاستعمال ولو عدل عنها يعني ابن عامر كان أولى لأنهم لم يجيزوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظرف وإنما أجازوه في الشعر؛ انتهى"[40].

لم يلتفت أبو حيان إلى هذه الردود السابقة، وراح يؤكد موقفه في الدفاع عن القراءة المتواترة وعن أصحابها الثقات المشهود لهم بالفصاحة والسماع عن العرب الأقحاح، والنقل الصحيح للقراءة، كونها توافق وجها من وجوه العربية، أو أنه يوجد لها نظير في كلام العرب. وقد احتج "أبو حيان" على إجازة القراءة المتواترة وعدم ردها بإثبات فصاحة الفصل بين المضاف والمضاف إليه في كلام العرب، حيث يقول: "وإذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة في قول بعض العرب هو غلام إن شاء الله أخيك فالفصل بالمفرد أسهل، وقد جاء الفصل في اسم الفاعل في الاختيار. قرأ بعض السلف: **{مخلف وعده رسله} [إبراهيم:47]**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بنصب وعده وخفض رسله وقد استعمل أبو الطيب الفصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول اتباعا لما ورد عن العرب فقال:

بَعَثْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً سَقَاهَا الحِجَا سَقْيَ الرِّيَاضِ السَّحَائِبِ[41].

وذهب إلى الاستدلال على ذلك والاحتجاج بأقوال بعض علماء اللغة، مثل ابن جني الذي يقول في كتابه الخصائص ضمن (باب فيما يرد عن العربي مخالفا لما عليه الجمهور): "إذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال العربي وفيما جاء به. فإن كان الإنسان فصيحا في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به، وكان ما أورده مما يقبله القياس، إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان، فإن الأولى في ذلك أن يحسن الظن به، ولا يحمل على فساده. فإن قيل: فمن أين ذلك له، وليس مسوغا أن يرتجل لغة لنفسه؟ قيل: قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها، وعفا رسمها، وتأبدت معالمها...فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ"[42]. وبمقولة عمرو بن العلاء الشهيرة: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"[43].

-**ثالثا: القراءات التفسيرية**، وهي التي تسمى في العادة القراءة الشاذة لكن أبا حيان يفضل تسميتها بالقراءة التفسيرية تأدبا[44] -على حد تعبير- بوشعيب محمادي. فأبو حيان يرى أن القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف لا بد أن تحمل على التفسير لا على أنها قراءة، وتجده كثيرا ما يذكر ذلك في مواطن إيراده للقراءات التي تخالف الرسم العثماني[45]. ومثال ذلك قوله في تفسير الآية 36 من سورة البقرة: **{فأزلهما الشيطان عنها}**: "وحكوا: أن عبد الله قرأ (فوسوس لهما الشيطان عنها)، وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه فينبغي أن يجعل تفسيرا، وكذا ما ورد عنه وعن غيره مما خالف سواد المصحف"[46]. ويقول أيضا في تفسيره للآية 198 من سورة البقرة:**{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ}**: "قرأ ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير: فضلا من ربكم في مواسم الحج، والأولى جعل هذا تفسيرا لأنه مخالف لسواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة". ولعل هذا الوصف أو التسمية التي جعلها أبو حيان للقراءة الشاذة تؤكد مرة أخرى عنايته بالقراءات المتواترة والشاذة لأنها تمثل بالنسبة إليه حجة في الدرس النحوي، وتشكل مادة لإثراء مباحثه وتنوع تقعيداته التي لا تمثل هي الأخرى سوى ذلك الاختلاف في لغات العرب وتعدد لهجاتها.

ختاما أمكننا القول بأن كتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وإن كان يعد كتاب تفسير إلا أنه من المؤلفات النفيسة والضخمة التي تزخر بمادة علمية غزيرة ومتنوعة كان للدرس اللغوي والقرآني الحظ الأوفر فيها، حيث لا تكاد تخلو أي وقفة له مع تفسير آية أو توضيح كلمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا وتجد للمادة اللغوية والنحوية والصرفية حضورا قويا، هذا فضلا عن عنايته الفائقة بالقراءات القرآنية وتوجيهها وإعرابها، وهو الأمر الذي جعل هذا المؤلف شاهدا على تبحر أبي حيان في مختلف مجالات اللغة العربية والتفسير والقراءات القرآنية وتفوقه الكبير فيها جميعا، وشاهدا كذلك على ريادة المغاربة ومنافستهم للمشارقة، بل والتفوق عليهم في كثير من الميادين والتخصصات، وذلك لولا التهميش الذي يطال النتاج العلمي والمعرفي في هذه الرقعة الجغرافية من العالم العربي. وبهذا فإذا كانت هذه الدراسة قد حاولت الكشف عن جهد متميز لأحد أبرز العلماء في المدرسة المغاربية، وهو أبو حيان الأندلسي بمؤلفه الضخم والمهم، بالنظر لما يحتويه من مواد علمية متنوعة في مجال اللغة والتفسير والقراءات القرآنية، ولما يتميز به من أهمية في إطار الجهود التراثية المهتمة بلغة القرآن الكريم، فهو أحد أهم المصادر العربية الأساسية التي يرجع إليها في هذا الباب، فإنه رغم ما تحقق لهذه الدراسة من الوقوف على منهج أبي حيان في البحر المحيط، ومن معاينة لمضمونه وموضوعاته اللغوية والقرآنية، إلا أننا نفتح المجال واسعا لبحوث أخرى يمكن لها أن تهتم بالإنتاج العلمي لهذا الرجل الفذ ولهذه الشخصية العلمية الرائدة سواء من خلال مؤلفه النفيس تفسير البحر المحيط أو من خلال مؤلفاته المتنوعة في مختلف أبواب اللغة والنحو والصرف والتفسير والقراءات القرآنية.

[1]: الكسائي، معاني القرآن، تح، عيسى شحاته عيسى علي، دار قباء، القاهرة، ط1، 1998.

[2]: الفراء، معاني القرآن، تح، محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1983.

[3]: أبو عبيدة، مجاز القرآن، تح، محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت.

[4]: ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تح، أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1978.

[5]: الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2009.

[6]: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، دط، 2009.

[7]: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، دط، 1426هـ.

[8]: أبوبكر الرازي، التفسير الكبير ومفاتح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

[9]: الرماني، الجامع لعلم القرآن، تح، خضر محمد نبها ورضوان السيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009.

[10]: ينظر، جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1965، 280/1 وما بعدها. وينظر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تح، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، 175/5 وما بعدها. وينظر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تح، علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998، 5/ 325 وما بعدها. وينظر، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب فب اخبار من ذهب، تح، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1992، 251/8 وما بعدها. وينظر، خديجة الحديثي، أبو حيان النحوي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1966، ص. 29 وما بعدها. وينظر، أحمد خالد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكري، أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراد القراءات فيه ، دار عمار للنشر والتوزيع، الجامعة الأردنية، ط1، 2007. ص. 11.

[11]: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 1/ 99، 100.

[12]: المصدر نفسه، 1/ 121.

[13]: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[14]: ينظر، المصدر نفسه، 1/ 105، 106، 107، 108.

[15]: ينظر، المصدر نفسه، 1/ 103 وما بعدها. وينظر، عبد العزيز علي مطلك الدّليمي، الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط، جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بغداد، تشرين الثاني، 1992، ص. 23 وما بعدها.

[16]: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح، عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2002، 2/ 484، 485، 486.

[17]: أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، 1/ 136.

[18]: المصدر نفسه، 8/ 441.

[19]: المصدر نفسه، 2/ 226.

[20]: المصدر نفسه، 1/ 132.

[21]: ينظر، عبد العزيز علي مطلك الدّليمي، الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط، ص. 24، 25. وينظر، أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، 103/1، 123، 124، 137، 207.

[22]: أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، 226/2.

[23]: ينظر، المصدر نفسه، 103/1.

[24]: ينظر، المصدر نفسه، 2/ 27، 28.

[25]: المصدر نفسه، 2/ 27.

[26]: ينظر، المصدر نفسه، 103/1.

[27]: المصدر نفسه، 1/ 112، 113.

[28]: الزمخشري، الكشاف، ص. 384، 385.

[29]: أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، 484/4.

*: يقصد الزمخشري بالبلكفة أن أهل السنة يقولون إن الله يرى بلا كيف.

[30]: الزمخشري، الكشاف، ص. 386.

[31]: أبوحيان الأندلسي، المصدر السابق، 4/ 487.

[32]: الزمخشري، المصدر السابق، ص. 386 الهامش.

[33]: أبوحيان الأندلسي، المصدر السابق، 1/ 108.

[34]: ينظر، عبد العزيز علي مطلك الدّليمي، الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط، ص. 222.

[35]: ينظر، أحمد خالد شكري، أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراد القراءات فيه، ص. 195.

[36]: ينظر، بوشعيب محمادي، أبو حيان ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي – تطوان، مطبعة الخليج العربي، المملكة المغربية، د.ط، ص. 2/ 99.

[37]: أبوحيان الأندلسي، المصدر السابق، 1/ 356، 357.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[38]: المصدر نفسه، 3/ 610، 611.

[39]: المصدر نفسه، 2/ 423.

[40]: المصدر نفسه، 4/ 297، 298.

[41]: المصدر نفسه، 4/ 298.

[42]: ابن جني، الخصائص، تح، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، القاهرة، دت، 385/1، 386، 387.

[43]: المصدر نفسه، 1/ 386.

[44]: ينظر، بوشعيب محمادي، أبو حيان ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، 2/ 140.

[45]: ينظر، أحمد خالد شكري، أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراد القراءات فيه، ص. 199.

[46]: أبوحيان الأندلسي، المصدر السابق، 1/ 313.

إقـــــــرار:

أنا الممضي أسفله:

الاسم واللقب: الأستاذ سحنين علي.....

المولود بتاريخ: 12-11-1984.....

العنوان البريدي: حي 16 سكن تطوري بلدية عين السلطان ص ب: 20029 ولاية سعيدة الجزائر

حامل بطاقة تعريف وطنية، رقم 201849052.....

الصادرة عن بلدية عين السلطان ولاية سعيدة دولة الجزائر.....

جهة العمل: جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر-الجزائر-.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرتبة: أستاذ محاضر صنف –ب-.....

الهاتف: 0770201942.....

البريد الإلكتروني: ali.shanine@univ-mascara.dz .....

أقر أن المقال المرسل إلى مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، تحت عنوان: **المدرسة المغاربية في التفسير اللغوي للقرآن الكريم: تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي أنموذجا.**.

هو عمل أصيل وملك لي، ولم يسبق نشره وليس مقدما للنشر في أي جهة أخرى، كما أنني أتعهد باحترام الأمانة العلمية في طريقة كتابة وتهميش المقال من مصدره وأتحمل أي مسؤولية عن آرائي الواردة في المقال.

وأقر أنني اطلعت على شروط النشر في المجلة وأنني موافق عليها.

التاريخ: 2018-06-23

التوقيع.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com